

# أوراق من دفتر المراثي

. حميد سعيد .

## الورقة الأولى: ملا محمد علي

يَضْحَكُ حَيْثُ كَانَ،

ثُمَّ يَبْكِي

حِينَ تَنْتَهِي السَّهْرَةَ إِذْ يَنْصَرِفُ  
الْأَصْحَابُ.

يَضْحَكُ فِي بَكَائِهِ وَفِي الْغِنَاءِ،

ثُمَّ يَبْكِي بَعْدَ أَنْ يَعُودَ مِنْ غَرْبَتِهِ ..  
إِلَيْهَا ..

ثُمَّلا ..

وَيُعْلِقُ الْأَبْوَابَ .

هُوَ الْمُحَاطُّ بِالنَّخِيلِ وَالنَّجِيلِ وَالْأَنْهَارِ،

تَتَّبَعَهُ فَرُوضُ اللَّيْلِ فِي قِيَامَةِ النَّهَارِ .

السَّاحِرُ السَّاحِرُ وَالْمَهْدَبُ الْحَبِيبُ

يَخْشَى الْمَوْتَ؟

حَاوَلَ أَنْ يَشْغَلَهُ بِالْفَقَةِ نَاعِمَةً،

وَنَكْتَةً،

وَسَكْرَةَ صَاخِبَةٍ، وَرَقِصَةً،

وَبِالْغِنَاءِ؛

يَحْتَاطُّ لَهُ بِضَحْكَهِ مَلْتَبَسٍ .

رَأَيْتَهُ هُنَاكَ، ذَاتَ يَوْمٍ، فِي مَسَارِبِ

الْقُبُورِ

بَيْنَ الْخَوْفِ وَالْحَرَمَانِ .

يَضْحَكُ حَيْثُ كَانَ،

اللَّيْلُ مَهْرَجَانُهُ .. تَقْتَرِبُ النُّجُومُ مِنْ

ضَجِيجِ خَوْفِهِ ..

بَلَا ضَجِيجِ .

هُوَ الَّذِي رَأَى قَوَافِلَ الظَّلَامِ فِي

رَحِيلِهَا السَّرِيِّ

مِنْ لَيْلٍ إِلَى لَيْلٍ؛

هُوَ الَّذِي غَنَّى؛

هُوَ الَّذِي اسْتَجَارَ بِالنَّارِ مِنَ الرَّمْضَاءِ؛

هُوَ الَّذِي ..

أَقَامَ ظَامِئًا عَلَى ضَفَافِ الْمَاءِ .

## الورقة الثانية: عباس جميل

ذَاكِرَةُ بِيضَاءِ

وَجَدَّ الْعُودُ الْبَغْدَادِي لِيَالِيهِ .. عَلَى

صَفْحَاتِ مِنْهَا

وَأَقَامَ عَلَيْهَا مَمْلَكَةَ الْمَاءِ .

قَالَ : أَخْطَأَ عَلَيْهَا اللَّحْنَ الْغَائِبِ ..

أَخْرَجَ مِنْهَا حِينَ أَكُونُ .. خَبَايَا

الْأُوتَارِ .

يَنْسَلُّ وَحِيدًا .. مِثْلَ خَلْسَةِ الْمُخْتَلَسِ

بَيْنَ الْمُرِيدِينَ الَّذِينَ يَسْبِقُونَهُ إِلَى

الْمَقَاهِي ..

حَيْثُ عَاشَ فِي ضَجِيجِهَا ..

كَانَ وَحِيدًا

يَصْخَبُونَ بِاسْمِهِ ... وَيَضْحَكُونَ

بَيْنَ الْحَبِيبِينَ الَّذِينَ أَوْلُوا حَنْجَرَةَ

الْمَغْنِيِّ ..

بَادِعَاءَ الْوَلَهِ الطَّرِيِّ ..

كَانَ فِي عَزَلَتِهِ بَعِيدًا .

لَيْسَ هَذَا الْكَفْنُ الْمَمْتَدُّ بَيْنَ الْمَهْدِ

وَاللَّحْدِ

سِوَى قَصِيدَةٍ مَمْتَحَلَةٍ،

وَلَيْسَ عَمْرُ الْعَاشِقِ الصُّوفِيِّ غَيْرَ

لِحِظَةٍ مُؤَجَّلَةٍ .

مَا عَرَفَ السَّفَرَ

أَقَامَ فِي أَسْئَلَةٍ مَقْفَلَةٍ : « لِمَ وَمَاذَا؟! »

مَنْ وَمَاذَا؟! »

نَقَلَ الْخَطِيءُ عَلَى الثَّوْنَانِي فِي طَرِيقِ

الْوَجْدِ،

❖ - شاعرٌ من العراق

قال: أحاول أن أغوي في الليل  
جنّياتِ الماء،  
وأخبئ أسراراً... خشيةً أن يعرفها  
الماء.  
قال: أكون، إذا فارقتني النوم...  
وضيعةً طريقي..  
إن عدت مع الفجر إلى الدار.  
قال: سأبحث عنها...  
وسألها.  
كانت تبحث عني، ومضيئنا  
بين جموح الأوتار وحنجرةٍ من  
جمرٍ ونضار.  
قال: جمّعني، وزهور حسين،  
الحرزُ الصاخبُ في الأوشار.  
صبيٌّ في الخمسين  
وفتيٌّ في السبعين  
يلعب بالليل كطفلٍ نزق.. يدخله  
أنتى شاء.  
بيوت أحبته..  
يفارقه حين يفارقها.  
أقمارٌ تخفق، بين يديه، بيارقها  
ونجوم ماكرة

مدنٌ ونساء وصبابات وقصائد  
للوقت يدُ ناعمة.. ستعيد إليه  
صباه  
وتعيد إليه امرأة ساحرة..  
توقظ في الأوتار الرغبة.. وتعيد  
إلى خشب العود  
سجايا البستان.  
قال: قرأتُ على من علمني..  
في الصحف الأولى.. كان البلبلُ  
شيخاً ورعاً  
لا يقرب معصية.. يتوضأ بالنور..  
يغني.  
غنى..  
كان البلبلُ يمرح  
في مرجٍ أسطوري بين أصابعه  
والوتر المسحور.  
غنى للناس جميعاً.. للأمرءِ  
وللفقراء،  
غنى لحبيته بغداد.  
زرياب أقام لها في ماضيها فردوس  
نشيد الأنشاد  
وأقام لها البلبلُ عرساً،

وأقام لها عباس جميل  
تقاليدَ السهر الليلي وأعيادَ  
الأعياد.  
ما كان رأى في الأفق الممتد من  
القلب إلى بغداد  
سُعار العاصفة السوداء،  
ما كان رأى بيتَ المحبوبة، يغضبه  
الغرباء  
حين أراد الماء،  
رأى وجه الوطن الدامي في الماء..  
فمات.

### الورقة الثالثة: سليمان عويس

كان ذلك في ليل بابل.. حيث هو  
الليل  
أنت وعكازك الأنيق.. وعبد الرحيم.  
السماء القريبة من بيت عشتار  
تفتح باباً لنا،  
وتقرب جيوش منّا  
إذ قرأنا على الجدر البابلية مؤالها  
وسمعنا أهازيج دين.  
«وظفة» ترقص في ليلة العرس،  
تضرب خلخالها.

كان ذلك في ليل بابل .. حيث هو  
الليل  
أنت وعكازك الأنيق .. وعبد  
الرحيم .  
أوتذكري تلك القرى؟! رافقتنا إلى  
السهرة البابلية ..  
غنى المغني العجوز ..  
ومدّ الفرات لنا يده . هل تذكرت  
تلك الصبية ،  
وهي تقول لعبد الرحيم : « يا عم؟! »  
قال : « العمى ! »  
وضحكنا .  
أطربتك المحبة في الناس .. أحببتهم  
وأحبوك .  
غنىت مؤالك :  
« لا تصطفي ذاك الصديق المشؤ  
وفي ..  
تلّقه باليوم العصيب .. بيخفتي . »

وأشهد أنك كنت الوفي ..  
ولم تنأ في الساعة العصبية .  
أنت رأيت الذي سيكون  
وفرقت بين اليمامة واليوم ،  
بين القرنفل والفقع .  
لما تخلّيت عن سحر دبين ..  
دحنونها وعصافيرها والصبايا  
ونعناعها ومواويلها والحكايا  
وما أنشأتك عليه دواوينها ،  
رأيت الذي سيكون ..  
غنىت :  
« بغداد يا دار الفدا .. لا تندهي ..  
ما في حدا! »  
رأيت الذي كان ..  
لم تبق زنبقة تتباهى المواويل حين  
تمرّ بها .

مات عبد الرحيم  
والتقينا بعمان .. كنا وحيدين .  
ضيقة كانت الطريق إلى بيت  
« وضحة »  
ضيقة كانت القصيدة .. حتى  
المواويل ضاقت بنا .  
أنا من ضيع وردة الكتابة ..  
وأنت الذي ضيع الطريق إلى موعد  
القرنفل الحلبي .  
كنا وحيدين ..  
كل الذي كان .. فارقنا ومضى .  
ثم فارقتني ومضيت  
أنا الآن وحدي ..  
ألم شظاياك .. أسمع صوتك :  
« لا تصطفي ذاك الصديق المشؤ  
وفي ..  
تلّقه باليوم العصيب .. بيخفتي . »  
عمان